هوية اللغة العربية بين ثقافة العولمة و عولمة الثقافة

أ. حسين تروش

جامعة سطيف 2

الملخص:

ترتبط هوية اللغة العربية بهوية الذات العربية نفسها في ارتباطها بوجودها داخل سياق تاريخي موغل في القدم ، ممتد في المستقبل ، و اللغة العربية الجامعة تلعب دور الموحد لأبناء الأمة العربية ، و عاملا من عوامل تكوين هوية هذه الأمة.

أما العولمة فتسعى إلى إذابة الحدود الفاصلة بين الشعوب ، لكن من خلال طمس الهويات المختلفة في هوية واحدة ، و دمج اللغات المتعددة في لغة واحدة ، يمثلان لغة الآخر و ثقافته تحت ستار ثقافة العولمة .

لذلك فعلى اللغة العربية اليوم أن تواجه هذه المخاطر، و أن تتحدى هذه الثقافة الوافدة من أجل البقاء و الاستمرارية من خلال وضع أسس جديدة لبناء هوية معاصرة .

Résumé :

L'identité de la langue arabe est lié à l'identité du l'être arabe lui même en association avec le contexte historique, étendu dans le futur, et la langue arabe mère a jouer un rôle très important dans l'union des nations arabes, et un facteur qui prouve l'identité commune du monde arabe

Mais la mondialisation cherche à dissoudre les frontières entre les peuples, à travers le barbouillage des différentes identités dans une identité unique , et fusionner plusieurs langues dans une seule langue, en imposant la langue et la culture de l'occident

Par conséquent, la langue arabe aujourd'hui doit faire face à ces risques, et contester cette culture étrangère pour la continuité à travers le développement de nouvelles bases pour la construction de l'identité arabe contemporain.

مقدمة :

التحديات الثقافية التي تواجه العالم العربي اليوم كبيرة ، أثّرت على هوية الفرد مما جعل تأثيرها ينعكس على المجتمع ككل ، و بما أنّ اللغة هي عنوان الهوية و لسان حال المجتمع فإنّ تأثّرها بالتغيرات الثقافية العالمية كان أشد.

وهوية العربي من هوية لغته، فإن زالت هويتها زال ما يميزه عن الآخر، ليصبح وجوده غير ذي تأثير، و تصبح ثقافته بالية غير مرغوبة.

وهذ المقال يحاول البحث في هوية اللغة العربية المعاصرة التي تحاول عدم التفريط في الأسس التي تميّزها في وقت هي مجبرة على مدّ حبال الوصل مع لغات الآخر وثقافاته . و لقد كان الغرب سبّاقا إلى مسألة دراسة الهوية، حيث يرى على حرب في كتابه التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)أنّه" يبدو لمن يتتبع مختلف الدراسات التي تتصل بموضوعة الهوية أن هذه الموضوعة تستأثر حاليا بقسط وافر من جهود المفكرين الغربيين و تدخل في صلب اهتماماتهم العلمية[1]"

ولكن هذا لا يعني أنها غير مطروحة على المستوى العربي فهذه المسألة – كما يقول " تعدّت صعيد النظر لتغدو أزمة تعيشها الجماعات الثقافية في صميمها "[2]

ولكن فكرة العولمة الثقافية عامة و اللغوية بشكل خاص تحاول اليوم صهر اللغة العربية مع ثقافات لا توافقها لسانا و لا فكرا،و هذا ما وضحه على حرب حين قال"غير أنّ الحلم بالانفصال و البحث عن الجذور يقابلها في الوقت نفسه إلحاح لدى البعض لاستعادة الفكرة القديمة عن وحدة الطبيعة البشرية[3] "

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ولعل هذا التجني على الثقافة العربية و لغتها سببه الجمود الفكري الذي وصلنا إليه اليوم ، و قد عبر محمد على الجابري عن ذلك بقوله " ما يميز الثقافة العربية منذ عصر التدوين إلى اليوم هو أنّ الحركة داخلها لا تتجسم في إنتاج الجديد بل في إعادة إنتاج القديم"[4]

لذلك حاول هذا المقال البحث في الوسائل التي تمكّن اللغة العربية المعاصرة من أن تجد لها مكانا داخل ثقافة عالمية تتطور بسرعة كبيرة تجعل الغافل عن مسايرتها في آخر الركب الحضاري.

ولعل البديل – كما يرى مجدي يوسف – " أن نتعرّف و من ثمّ نعرّف أجيال الدارسين في أمتنا على أوجه التمايز الثقافي / المجتمعي ، و الأدبي / اللغوي بيننا و سوانا من الشعوب ذات اللغات و الثقافات المغايرة "[5]

أصبحت الأمة العربية في أمس الحاجة إلى تبني إستراتيجية للعمل الجاد من أجل تحصين الهوية العربية ودعم مقوماتها و مرتكزاتها وذلك لترسيخ الانتماء إليها في قلوب الناشئة والشباب وتعميق مفهومها في عقولهم.

1ـــ هوية اللغة العربية بين الذات و التاريخ و الآخر:

التعبير عن لفظ الهوية جاء من اللفظ الأعجمي اللاتيني *" Identité "* ، حيث صنعوه من اللفظ الضمير "هو" بزيادة ياء النسب و تاء المصدرية و هذا الضمير يدل على الغائب[6] .

والهوية مأخوذة من ''هُوَ / هُوَ'' بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد أن الجرجاني في كتابه''التعريفات'' يقول عنها: " بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب"[7] الهوية هي مصدر صناعي ينطوي على كل خصائص ال " هو" مثلما تشكل مفردات الإنسانية جملة الخصائص التي يختص بها الإنسان وقد يكون ال "هو " شيئ ما فتكون العناصر التي يمتاز بها من سواه هي العناصر التي تشكل هوية هذا الشيئ ، يقول الفارابي:" هوية الشيء، وعينيته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك "[8]

و تستعمل للربط بين الموضوع و أخر في لغة المناطقة فكأن الهوية المشتقة منه هي إثبات شيء غائب عن الحس شاخص لمظاهره فقط ، يقول الفارابي:" هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك " [9]

ويرى كثير من المفكرين صعوبة في تعريف الهوية، وليس غريباً أن يعلن فريجه (*Gottlieb Frege*) بأن المفهوم لا يقبل التعريف ، وذلك لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته ، فالهوية مفهوم أنطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحريه تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية، وهو يتمتع بدرجة عاليه من العمومية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الأخرى المتجانسة والمقابلة له، ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به ، يمتلك هذا المفهوم طاقه كشفيه لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر[10].

والهوية هي مجمل السمات التي تميـــّز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كلّ منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى

أما لفظة "لغة" فترجع في العربيَّة إلى المادة أو الجذر: "لغو"، أو "لغي"[11]، وهو جذر يدور حولَ معاني الرَّمْي والطَّرْح والإلْقاء، وهي معانٍ ظلَّت مقترنةً بهذا الجذر في تصاريف المادة، وحملت معاني الرَّمي وما يتَّصل بها ظلالاً، فيها الزُّهد بالشيء، وعدم أهميَّته، وكونه منبوذًا، ذلك أنَّ ما يُرمى أو يُلقى به أو يُطرح يكون كذلك[12]. غيرَ أنَّ القرآن الكريم لم يستخدمْ لفظ "لغة"، إنَّما استبدل بها لفظ "لسان"[13]، اللسان حَظِيَ بأكثر من تعريف، فقد جاء في لسان العرب تحت مادة "لَسَنَ": اللسانُ جارحةُ الكلام ، واللسانُ المَقْولُ، يذكّر ويؤنّث، والجمع ألسنة وألسُن، والإلسان: إبلاغ الرسالة. وألسَنَ عنه: بلّغ. ويقال: ألْسِنّي فلاناً وألسِن لي فلاناً كذا وكذا أي أبلغ إليّ ، ولَسَنَهُ: كلّمه، واللَّسْنُ: الفصاحة [14] ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [15] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و قد عرفها العالم اللغوي "فرديناند دي سوسير بقوله:"إن اللغة نظام خاص من العلاقات والإشارات المعبرة عن الأفكار"[16] ، و بما أنّ اللغة هي نظام من العلامات التي تعبر عن الفكر و تساهم في الإبلاغ و التواصل البشري، فهي وسيلة للتعبير عن الوجود و علامة من علاماته ، و إذا كانت هوية المتكلم تتحدد من خلال لغته التي يستعين بها ، فما هي محددات هوية اللغة ذاتها؟

أ ـــ هوية اللغة العربية و وعي الذات :

لعل البحث عن هوية اللغة هو في حقيقته بحث عن الذات كما يرى إيغور كون ، لأن اللغة تقوم على مقومات الشخصية البشرية و على الوعي بهذه المقومات[17]، وقد قال الفيلسوف الألماني فيخـــته في خطاب وجهه إلى الأمة الألمانية عام 1806 أنّ :" اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراصاً خاضعاً للقوانين إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان "[18] .

واللغة عامة والعربية بشكل خاص هي الجامع بين أفراد الجماعة الواحدة ، و عنوان لهويتهم الخاصة فـــ" اللسان الواحد هو الذي جعل من كل فئة من الناس جماعة واحدة ذات هوية مستقلة ويزداد الاهتمام باللغة والهوية معا ويشيع الحديث عنهما في المنعطفات أو المفاصل التاريخية في حياة الجماعات"[19]

ولقد كان للغة العربية دور كبير في توحيد قبائل شبه الجزيرة ، فكما جُمعت الأمم في أمة واحدة جُمعت الألسنة في لسان واحد ، وقد أشار إلى ذلك أبو عمرو عثمان الجاحظ بقوله : "إن العرب لما كانت واحدة في التربية، وفي اللغة والشمائل، والهمة، وفي الأنف والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسبكوا سبكا وكان القالب واحدا، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط"[20].

فنشأت قومية وطنية تجمع الميزات المشتركة لمجموعة من البشر، والتي تميّزهم عن المجموعات الأخرى و خلقت هذه الوحدة هوية مشتركة لأنّ " هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"[21]

ولكن مساهمة اللغة الجامعة في توحيد الأمة متعلق باستقلالية هذه اللغة ، وهذا ما عبّر عنه الفيلسوف (فيخته) بقوله: " أينما توجد لغة مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها "[22]

و يرى أليكس ميكشيللى أنّ العلاقة بين الذات و بين هوية اللغة منطلقة من الإحساس بقوة اللغة الأم وتمايزها ، يقول :" فهوية اللغة هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي ، وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز مما سواه ويشعر بوحدته الذاتية "[23]

كما أنّ هذه العلاقة تقوم على الانسجام بين الذات و اللغة و اعتراف المتـــكلّم بلغته الأم ، و الوعي بدورها في خلق هوية الفرد ذاته فهي " ذلك الإحساس الداخلي المطمئن للإنسان على أنّه هو نفسه في الزمان والمكان وعلى أنّه منسجم مع نفسه باستمرار مهما تعددت واختلفت المكانات الاجتماعية وعلى أنّه معترف به بما هو عليه من طرف الآخرين الذين يمثلون المحيط المادي والاجتماعي والثقافي المحلي والإقليمي والدولي "[24]

فوحدة اللغة وتمايزها واستقلاليتها والانسجام بينها و بين متكلميها كلها عناصر تساهم في تحديد هوية اللغة و بالتالي هوية الذات الناطقة بها ، وهو ما ينطبق على اللغة العربية ، فلقد كانت مصدرا لوحد العرب ، تميزت عن باقي اللغات بقدرتها على البقاء ، و قد كان الانسجام بينها و المتكلمين بها كبيرا إلى درجة التماهي ، فقد تنافس علماؤها و شعراؤها في جمع شواردها .

ب ـــ هوية اللغة العربية و التاريخ :

اللغة العربية مخزون وموروث جمعي تاريخي طويل الامتداد في الزمان والمكان، مملوء بالأمجاد والايجابيات وبالتناقضات والتعارضات ، في الوقت ذاته ، ضمن تجربة الأمة عبر القرون تقدماً وتخلفاً والتاريخ كلٌّ مركب فيه العلوم والمعارف والمواقف والذكريات والمشاعر أفراحا وأتراحا والتجارب إيجابا وسلبا، فذلك كله يسهم في تشكيل هوية الفرد كما يسهم بالقدر نفسه في تشكيل هوية الجماعة كلها[25]

يقول مصطفى صادق الرافعي: " إن اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الأمة كيفما قلّبت أمر اللغة – من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها – وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها [26].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتاريخ أعم من التراث لأن التراث مرتبط بالأشياء المادية و غير المادية مما ترك العربي في مجالات الثقافة و الفنون و الآداب والإنجازات العلمية المختلفة ، أما التاريخ فيضم كل ذلك و يضيف عليه مختلف الأحداث و المواقف التي وقعت عبر الزمن،و اللغة هي لسان حال التراث و التاريخ معا.

فاللُّغة وعاء التاريخ، وكلّما كان هذا الأخير ممتدًّا وخصبًا انعكس على اللُّغة قوَّةً وثراء، فالوِعاء لا بدَّ أن يُثري بما فيه، والتاريخ بمادته ومواقفه وحراك أصحابه ومشاعرهم، وذكرياتهم وانتصاراتهم، وإخفاقاتهم ودروسهم وعِبرهم – لا بدَّ أن يُغني هذه اللُّغة التي كانت تَرجمانَه المعبِّر، ولسانَه الناطق.

ج ــ هوية اللغة العربية و التواصل الثقافي مع الآخر :

التواصل من مادة فعل اللفظة العربية (وصل) الذي تؤكد أغلب تقلباته المعجمية على معنى ضم الشيء بالشيء وجمعه ولأمه وعدم تصادمه[27]، و نعني بـــ (الثقافي) غير المعنى الشامل للثقافة، المعنى المفتوح الذي يستوعب مجموعة من الأفكار والقيم والمعايير والأشكال التي قد تنعكس في قصيدة أو قصة أو مسرحية أو كتاب أو عنصر من عناصر التراث ، وقد تنعكس في أي تشكيل فني أو في أي تصريح أو تشريع أو مطبوع رسمي[28].

والتواصل لا يتم إلاّ بين طرفين واعيين بوجودهما المادي و المعنوي يقول إيمانويل ليفناس (*Emmanuel Levinas*) حول هذا الموضوع:" أن نتحدث مع الآخر هو في الوقت نفسه أن نعرف الآخر ونجعله يعرفنا، فالآخر هنا ليس فقط معروفا بل وأيضا مرحبا به، ليس فقط مسمى بل وأيضا مدعو من طرفنا.أنا لا أفكر في كل ما هو بالنسبة إلي فقط بل وأيضا وفي الآن نفسه أفكر في كل ما هو بالنسبة إليه"[29].

أما التواصل الثقافي بين العرب و الغرب فليس منطلقه الاعتراف المتبادل بقدر ما هو انبهار من الجانب العربي، مما جعل نتائج هذا التواصل يأتي عكسيا، فـــ "أوروبا الحديثة بسعيها لفرض قيمها ومثلها استنبتت، بشكل متساوق، عناصر انفصال حقيقي في الكائن العربي الإسلامي، الذي ما انفك منذ مختلف لحظات اللقاء العنيف مع هذا النموذج الحضاري الجديد، يتحدد من خلال الآخر، وينظر إلى مقوماته الذاتية في ضوء ما يفرضه عليه هذا الآخر من رهانات وتحديات"[30]. فذابت الشخصية العربية وسط هذا الانبهار، و ألقى هذا الشعور بالنقص بظلاله على اللغة تحددت هويتها من خـــلال نظرة الآخر لها.

والآخر يريد للغته التفوق، فهذا ديفيد كريستال (*Crystal David*) كتب كتابا عنونه (اللغة الإنجليزية كلغة عالمية)، يقول فيه مبررا دعوته هذه:" وينبغي أن نضيف إلى ما سلف أنه لا يتعلق تحويل اللغة إلى عالمية بعدد متحدثيها، وإنما يتعلق بنوعية هؤلاء المتحدثين وقوتهم الثقافية ، فهناك صلة وثيقة بين هيمنة اللغة والقوة الثقافية وما يساندها من قوة سياسية وعسكرية واقتصادية "[31].

و لعل ضعف النشاط الثقافي العربي و انبهاره بثقافة الآخر جعل قنوات التواصل المألوفة بين اللغات تصبح قنوات اختراق لغوي كالترجمة و المثاقفة، أما الترجمة فقد ذكرت المعاجم العربية القديمة فعل ترجم بمعنى فسر وأبان و أوضح، جاء في صحاح اللغة : " يقال قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر"، كما ذكرت أيضا الترجمان وهو الذي يقوم بفعل الترجمة ، وقد وجد لهذه الكلمة أثر في الشعر الجاهلي مما يدل على أنها عربية فصيحة أصيلة .وجاء في المعجم الوسيط : " ترجم الكلام : بينه و وضحه، وترجم كلام غيره وعنه : نقله من لغة إلى أخرى ...والترجمان : المترجم، جمعه تراجم و تراجمة "[32] وبذلك يكون المعنى اللغوي فعل ترجم هو الإبانة والإيضاح والتفسير والنقل من لغة إلى أخرى .

أما المعنى الاصطلاحي فهو لا يختلف عنه إذ يؤدي المعنى نفسه، وإن كان محصورا بشكل خاص في تلك العملية الفنية والعلمية التي تُعْنَى بنقل النصوص من لغة إلى أخرى، أي من سياق فكري وثقافي إلى سياق آخر مختلف عنه[33] .و الترجمة هي " القناة الرئيسية للتواصل و التبادل الثقافي بين الشعوب ، و بدونها لا يتم تواصل ثقافي ذو شأن "[34] ، لذلك " لم يزل التواصل الثقافي و سيظل مرتبطا بالترجمة ومتوقفا عليها إلى حد كبير، و على ضوء ذلك فإن كل تقاعس على صعيد الترجمة يعني بالضرورة تأخرا على صعيد التواصل الثقافي"[35].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والترجمة هي إحدى محددات الهوية اللغوية العربية من خلال إغنائها لهذه اللغة بالمعارف العلمية الجديدة ، و لكن شرط الاستعانة باللفظ العربي لأن اللغة العربية هي أوسع لغات العالم ألفاظا ، وأكثرها قدرة على الاشتقاق و النحت ، و لكن تراجمة العرب من المعاصرين فضلوا نقل الألفاظ الأعجمية إلى اللسان العربي مما يصيب هوية هذه اللغة في الصميم ، و هنا يأتي دور مجامع ومجالس اللغة العربية في جميع القطار العربية ، و تقع علها مسؤولية إنتاج المصطلح العلمي .

وأما المثاقفة فهي من المفردات التي تعبر عن أوجه التبادل الثقافي (الأخذ والعطاء) بين الحضارات البشرية المتعددة وهو اتجاه يسعى أن يكون وسطا بين الانفتاح المطلق الذي يؤول إلى الانصهار في ثقافة الآخر وبين الانغلاق المطلق الذي يؤول إلى الانعزال تماماً عن الآخر والعالم بأسره.

لكن إذا عدنا إلى مفهوم المثاقفة في الفكر الغربي *(Acculturation)* فإننا سنجده مختلفاً تماماً عما يطرح في محيطنا الثقافي، حيث تطرح المثاقفة على أنها "علاقة بين ثقافة متفوقة وثقافة متخلفة"، بمعنى آخر كما يقول حسن حنفي " أن المثاقفة التي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي والتبادل الثقافي؛ هي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها، وهيمنتها على غيرها[36]

لذلك وجب الانتباه إلى المعنى الحقيقي للمثاقفة ، والتصدي لدلالة التخلف التي نوسَم بها ، و لنا في (محمد بن أبي شنب) خير مثال على ذلك فلقد نشأ علميا وسط ثقافة غربية ، و لكنه عمل طول حياته على إبراز عظمة الثقافة واللغة العربيتين[37]

2 ــ هوية اللغة العربية و ثقافة العولمة:

يرى عبد العزيز بن عثمان التويجري في مقدمة كتابه (اللغة العربية و العولمة) أنّ : " من أكبر التحدّيات التي تواجه اللغات الحيّة في عالم اليوم، تحدّي العولمة التي تندفع في اكتساح جارفٍ للخصوصيات اللسانية واللغوية والثقافية التي هي القاعدة الصلبة للوجود المادي والمعنوي للأمم والشعوب، لتشكّل بذلك خطراً محدقاً بالهويات الوطنية "[38].

لقد ترسخ مفهوم العولمة (*Globalisation*) في حقل الاقتصاد والعلاقات الدولية ، ليخرج بعدها ، منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي إلى حقول العلوم الإنسانية الأخرى

و يرى جون توملينسون في كتابه (العولمة و الثقافة) أنّ العولمة تقع في القلب من الثقافة الحديثة وتقع الممارسات الثقافية في القلب من العولمة [39] ، و العولمة غير العالمية فـ"العالمية رؤية وأمل وتطلع إلى نقل الخاص إلى المستوى العالمي، أما العولمة فهي احتواء للعالم"[40].

والعولمة ظاهرة تتجسد في توحيد المنظومة المالية على صعيد عالمي، ونشوء منظومتين جديدتين أولاهما إعلامية واتّصاليّة والثانية معلوماتية حتى تخضع جميع المجتمعات لحركة واحدة"[41].

وهي اختراق لوعي الآخر و ثقافته كما يرى محمد عابد الجابري حيث قال:"أن العولمة تعني: نفي الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي والهيمنة، وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك"[42]

أو هي بحسب محمد سمير المنير فرض للنموذج حيث يقول:" فالغرب يريد فرض نموذجه وثقافته وسلوكياته وقيمه وأنماطه واستهلاكه على الآخرين "[43]

و العولمة فخّ كما يوضح ذلك كمال الدين عبد الغني المرسي ويعني به " إيهام الشعوب على المستوى العالمي بوجوب الانتماء إلى ثقافة عالمية واحدة و طمس الفروق الحضارية بين المجتمعات"[44]

لذلك يربط عبد السلام المسدي بين اللغة و العولمة و يرى أن " النظام العالمي الجديد في كونيته تلك لابد له أن يتضمن مشروعًا لغويًا بلا أي تشكك وفي غير ارتياب . فاللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي ، وهي الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي ، وهي السيف الأمضى في الاختراق النفسي ، وعليها مدار كل تسلل أيديولوجي أو اندساس حضاري فعمالقة الأممية وجبابرة العولمة يعلمون علم اليقين أن اللغة هي أم المرجعيات في تشييد المعمار الحضاري وفي بناء صرحه الثقافي ."[45] و إذا كانت العلاقة بين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العولمة وهوية الذات تتعلق بسؤال المكان في الانتقال من مجال مغلق ممثلا في الدول الوطنية إلى مجال مفتوح للتفاعلات أبعد من نطاقه [46]، فإنّ العلاقة بين العولمة و اللغة العربية تتحدد من خلال مجموعة من المحددات هي :

أ ـــ العولمة و الهيمنة اللغوية:

إنّ اللغة العربية تتعرض اليوم لمواجهة شديدة مع لغات العالم الأخرى ، ذلك أن الاحتكاك الحضاري يتبعه احتكاك لغوي ، و بروز فكرة العولمة وانتشارها كان له أثره البالغ في محاولة السيطرة بل والهيمنة على العديد من المجالات الاقتصادية والإعلامية والسياسية والثقافية بل والاجتماعية ، و السيطرة على اللغة هو مفتاح السيطرة على تلك المجالات جميعا .

و اللغة العربية و هي تمارس هذا الاحتكاك تعاني تأثيرات العولمة عليها من خلال هيمنة اللغات الأجنبية على اللغة الأم في عقر دارها مما أضعفها فأضعف الأمة ـــ و قد انتبه مصطفى صادق الرافعي لهذه الهيمنة و أثرها الخطير منذ زمن بعيد حيث قال:" ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة التي يستعمرها، ويركبهم بها ، ويشعرهم عظمته فيها "[47]

و إن كان بعض المفكرين العرب قد تنبّهوا لهذه الهيمنة اللغوية ، فإن بعض المفكرين الغربيين قد صرحوا بها و دعوا إلى جعلها هدفا سياسيا وجب تحقيقه ، يقول الوزير السابق في الحكومة الفرنسية بينوت :" لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية ، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية ، وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية و الثقافية "[48].

إنّ هذا التصريح برغبة فرنسا ، و من ورائها الغرب كلّه ، في الهيمنة اللغوية على اللغة العربية، وجعله بديلا عن الاستعمار العسكري هو اعتراف صريح الضلوع في جريمة إضعاف اللغة العربية ، ودافع قوي لأبنائها للنهوض بها .

ب ـــ العولمة و الغزو الثقافي:

الغزو الثقافي هو أن تقوم الثقافة الأصلية باستعارة العديد من العناصر الثقافية في الثقافة الأخرى ، وتلك العملية تؤدي إلى زوال عدد كبير من عناصر الثقافة الأصليـــة ، مما يؤدي إلى احتلال الثقافة الأخرى مركزاً متقدماً لدى شعوب الثقافة الأصلية.

وهنا يشير عبد الهادي الجوهري إلى أن أخطر آثار العولمة هو ما يتصل باقتحامها للبنى الثقافية والحضارية لشعوب العالم تحت دعوى التوحيد الثقافي. أن ذلك يؤدى إلى تصدع الهوية الثقافية في بلدان العالم التي تتأثر بالعولمة. وقد يحدث عن هذا ما يسمى بالصراع القيمي بالإضافة إلى إضعاف مشاعر الانتماء. ولما لذلك من تأثير فى تشرذم المجتمع وصراعه وتفككه[49].

رغم أنّ هناك من يدعي أنّ العولمة " لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء أو التذويب بل تعيد تشكيلها أو تطويرها للتكيف مع العصر"[50]

و يرى إسماعيل صبري أنّ الغزو الثقافي يقضي على هوية الشعوب من خلال" التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة دون حاجة إلى إجراءات حكومية [51]

و لخطورة هذه الظاهرة فإنّ " الحداثة الغربية عموماً والعولمة المعاصرة خصوصاً ، وما أفرزته من ثقافة تقنيه بصفة خاصة ، في طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية أو كونية شاملة بكل ما في الكلمة من معنى،فثورة الاتصالات والمعلومات المعاصرة، والاتفاقيات الدولية في السياسة والثقافة والاقتصاد، سوف تحول العالم إلى قرية ثقافية واحدة ، ولن تستطيع الثقافات التقليدية أن تصنع شيئاً أمام هذه الثقافة (الكونية)"[52].

و الهيمنة اللغوية تصبح واضحة في مجتمع ما عندما يقتنع أفراد هذا المجتمع بأنّ ثقافة الآخر هي المثل الأعلى، و السبيل الذي يجب احتذاءه ، و هو ما نلاحظه في مجتمعاتنا العربية فهي عملية تخدير للعقل و تغيير لثوابته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج ــ العولمة و الاستلاب اللغوي:

لفظ الاستلاب هو من حيث الأصل مقابل ترجمي للفظ الأجنبي (*aliénation*) الذي يرجع إلى اللفظ اللاتيني (*aliénation*) ، والاستلاب بأبسط تعريفاته هو" أن تصبح منسلبا وأن تصبح شخصا آخر غريبا أكثر من كونك نفسك ، وكذلك يمكن أن تعني أن تصبح خاصا بشخص آخر ، وبمعنى آخر فان هذا يعني انسلاخ الشخص عن نفسه ليصبح خاضعا ، وحتى متمثلا بشخص آخر "[53]

وانطلاقا من هذا المفهوم العام للاستلاب نحس بـــ" تأثير نفسي يحمل المتلقي إلى اتخاذ سلوك معين وركوب موجة ثقافة جديدة ما كان ليتخذهما لولا ذلك التأثير ، وهذين المفهومين يدخلان ضمن أساليب الحرب النفسية "[54]

والاستلاب اللغوي هو درجة أعلى من الهيمنة اللغوية لأن هذه الأخيرة تتعلق بالعقل ، أما الاستلاب فيتعلّق بالقلب و بإحساس الفرد و المجتمع المُستَلَبِ بأنه وقع تحت سحر لغة الآخر و ثقافته و هو ما نلاحظه في عالمنا العربي اليوم ، فألبابنا مسلوبة نحو الآخر ، و لغتنا منكسرة أمام لغته .

د ــ العولمة و صراع الحضارات :

يقول هنتجنتون في كتاب (صراع الحضارات): " في عالم اليوم أدى التحسن الذي حدث في مجالات الانتقال والاتصال إلى تفاعلات وعلاقات أكثر تكراراً واتساعاً وتناسقاً وشمولاً بين شعوب من حضارات مختلفة، ونتيجة لذلك أصبحت هوياتهم الحضارية أكثر بروزاً. الفرنسيون والألمان والبلجيك والهولنديون يتزايد تفكيرهم في أنفسهم كأوروبيين، مسلمو الشرق الأوسط يتوحدون ويهرعون لمساعدة البوسنيين والشيشان، الصينيون في آسيا كلها يوحدون مصالحهم مع مصالح البر الرئيسي، الروس يتوحدون مع الصرب والشعوب الأرثوذوكسية الأخرى ويدعمونها، هذه الحدود الأوسع للهوية الحضارية تعني وعياً أعمق بالاختلافات الحضارية والحاجة إلى حماية ما يميز "نحن" عن "هم"[55].

و لكن هنتجنتون يظهر هذا الصراع كأنه شيء إيجابي ، و تطور منطقي للعلاقات الإنسانية بين الحضارات المختلفة ، و لكن حسن حنفي له رأي آخر ، يقول :" يتم تصدير صراعات الحضارات للنطق بما كان مسكوتاً عنه سلفاً ولتحويل العالم إلى دوائر حضارية متجاورة، ومتصارعة على مستوى الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات، وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافاتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق "[56] ، والحق أن رأي حنفي أصح من رأي هنتجنتون لأن التنافس المادي للغرب على الثروات العربية بين الأسباب الحقيقية للصراع الحضاري .

و لعل اللغة العربية هي من أكثر الأشياء التي تأذّت من هذا الصراع غير المتكافئ بحيث أصبحت علامة للتخلّف ، و أصبح العربي يستحي التكلّم بها حتى لا يوسم الرجعية .

و لكن عبد السلام المسدي يرى أن اللغة العربية قد تشكل في طموحاتها المستقبلية، أخطاراً حقيقية على دُعاة العولمة الثقافية وسياساتهم التهميشية، وذلك مردود إلى جملة أسباب،هي:

احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلاً عن البعيد.....فاللسان العربي هو اللغة القومية لحوالي 270 مليوناً، وهو يمثل إلى جانب ذلك مرجعية اعتبارية لأكثر من 850 مليون مسلم غير عربي كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية ؛ فإن لم يتقنوها لأنها ليست لغتهم القومية فإنهم في أضعف الإيمان يناصرونها ويحتمون بأنموذجها.

ولكن العربية تخيف أيضاً بشيء آخر هو ألصق بالحقيقة العلمية القاطعة، وأعلق بمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة، فلأول مرة في تاريخ البشرية،على ما نعلمه من التاريخ الموثوق به، يكتب للسان طبيعي أن يعمر حوالي سبعة عشر قرناً محتفظاً بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية فيطوعها جميعاً ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثي من داخله.

أن اللسان العربي حامل تراث، وناقل معرفة، وشاهد حيٌّ على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية.[57]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 ــ أبعاد الهوية المعاصرة للغة العربية في زمن العولمة :

لقد أدخلت العولمةُ الثقافيةُ البشريةَ في عصر جديد تغيرت فيه المفاهيم القديمة ، وطمست الهويات، وألغيت الحدود لفاصلة بين ثقافة و أخرى ، مما جعل اللغة العربية تعاني محاولات متكررة عبر المائة سنة الماضية لإضعافها ، بل و طمسها تماما في إطار مشروع أكبر لطمس الثقافة العربية الإسلامية كلّها .

ورغم تنبيه الكثير من المفكرين العرب[58] بخطورة هذا الأمر إلاّ أننا نلاحظ تقاعسا في الدفاع عن العربية و ثقافتها ، والذي لا مفر منه أنّ العولمة هي ظاهرة العــصر و أنّ تأثيرها على لغتنا العربية واقع ــ دون شك ــ و لكن وجب وضع إستراتيجية واعية و علمية لصياغة هوية جديدة للغة العربية تمتد جذورها عميقا في التاريخ العربي الزاخر، و ترتفع أغصانها عاليا لتأخذ حقها من نور الحداثة و التطور، ولتشكيل هذه الهوية المعاصرة للغة العربية وجب التركيز على بناء مسدس الهوية اللغوية القائم على:

أ ــ الهوية القومية للغة العربية :

القومية لغة مصدر صناعي مثل الهوية ما يعني أنه ينطوي على كل العناصر التي تشكل خصائص القوم ومميزاتهم فتكون الدعوة إلى المشروع الخاص بهؤلاء القوم مرتكزة على واقع له وجود حقيقي وفعال لابد أن يظهر جليا في جميع مستويات الحياة الاجتماعية واليومية للشعوب مثل التاريخ المشترك والجغرافيا و وحدة الآلام والآمال وللغة والثقافة .

يقول في ذلك الإمام محمد عبده : "إذا ضعفت العصبية في قوم رماهم الله بالفشل و غفل بعضهم عن بعض ، وأعقب الغفلة تقطع في الروابط ، وتبعه تقاطع وتدابر، فيتسع للأجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم ، ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بإفاضة روح التعصب فيهم في نشأة ثانية "[59]

و بما أنّ اللغة العربية هي العماد الثاني بعد الدين الإسلامي الذي يشد أوصال هذه الأمة بعضها إلى بعض فقد عمد الغرب أثناء فترة الاستدمار و بعد استقلال الدول العربية إلى محاربتها و محاولة إضعافها بشتى الطرق " لأن المستعمر أدرك أن اللغة القومية تشدّ الإنسان العربي إلى قومه، وتربة وطنه، وتربي فيه شخصيته القومية، ومشاعر العزة والانتماء. فكان إحياء اللغات الميّتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، وتعزيز استعمالها في الحياة العامة والرسمية، واتهام العربية بالقصور والعجز وعدم القدرة على مواكبة روح العصر"[60]

و غرض الغرب من خلال تدمير اللغة العربية القضاء على قومية العربي و انتمائه، و قطع جذوره الأصيلة و الدفع به إلى اللاانتماء ، يقول جلال جميل سلمان الدليمي " إن العولمة تحاول ربط الناس بعالم (اللاأمة) و(اللاوطن) و(اللادولة) لان ذلك يسهل عمليات الاستلاب التي تقوم بها " [61] فالحفاظ على الانتماء العربي يساهم في الحفاظ على اللغة العربية .

ب ــ الهوية التواصلية للغة العربية :

تكتسب الاتصالات في عالم اليوم أهمية متزايدة، فعصرنا موسوم بأنه عصر الاتصالات. ومجتمعنا المعاصر الذي بات أشبه ما يكون بقرية كونية في مطالع الألفية الثالثــة يشهد ثورة مستمرة، وتطوراً متعاظماً في ميدان تقنيات التواصل وتخصصاته وتشعباته وتأثيراته .

اللُّغة عند العرب منذ عثمان بن جني "أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"[62]، والتحليل لهذا التعريف يؤدِّي بنا إلى أن نلحظ العناصر التالية:أصوات (الكلام)، كل قوم (الناس)، التعبير عن الأغراض (التواصل) .

و التواصل جزءٌ مهمٌّ من المحيط الذي يبني القِيَم والمشاعر والأفكار ويُشكِّلها، ويعطيها مذاقَها وخصوصيتها، ويصبغها بصبغته الفارقة، وهذا ما يُعيدنا مرَّة أخرى إلى "اللغة" التي ترتبط بعقل الإنسان وفِكره أكثرَ ممَّا ترتبط بلسانه وعلاقاته بالآخرين، كما يذكرنا بالثقافة، بالمفهوم الذي ذَكرْنا، لا بوصفها كمًّا من المعلومات والمعارف التي تجتمع في داخل الإنسان أو المجتمع. "إنما تنتج عن الحياة في المجتمع، وهذا هو تماماً حال اللغة الإنسانية التي تدرك بشكل أساسي كأداة للتواصل"[63]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا اللُّغة العربيّة فموقفها أكثر قوّةً في مواجهة الحياة الحديثة؛ لأنها أثبتت، طَوَال القرن العشرين، قدرتها على ابتداع المصطلحات في العلوم والفنون والآداب كلِّها، ونجاحها في تدريسها وغَرْس مهاراتها والتّأليف فيها. وقد أثبتت الدِّراسات غنى اللّغة العربيّة ومرونتها وطَواعيّتها في العصر الحديث لذلك لا بد أن يستعين الإعلام العربي باللسان العربي في التعبير عن هموم و آمال الأمة العربية ، و أن توضع سياسات واضحة لإدخال اللغة العربية في كل قنوات التواصل مع الآخر .

ج ــ الهوية المعرفية للغة العربية :

لا شكّ أنّ أيةَ لغةٍ تُعدّ وطناً للمعرفة[64] و اللغة أداة توليد المعرفة ونشرها واستهلاكِها، وأكبر تحدٍّ تواجهه اللغة هو استيعاب المعرفة الإنسانية المتراكمة والإسهامُ في إنتاجها وتداولها

و قد لاحظ شاهين عبد الصبور أنّ اللغة العربية " انشغلت في العصر الحديث بالتعامل مع المصطلحات، والمفاهيم الحديثة الوافدة، بدلاً من الإسهام في البناء الحضاري. فوجد اتجاه لمعاملة المصطلح الوافد معاملة الدخيل، حيث يستعمل كما ورد بإجراء تعديل صوتي، أو صرفي مناسب، وهو اتجاه يحشو العربية بمفردات أجنبية، ويؤدي على المدى البعيد إلى مسخ هويتها[65]. وقد اهتم عبد الصبور شاهين وغيره بدراسة المصطلح العلمي في اللغة العربية وتهيئة العربية للعلوم التقنية.

و لكن اللغة العربيّةُ مؤهّلةٌ لأن " تتبوّأَ مكانتَها في مضمارِ تعريبِ العلومِ وتداولِها ، أكثر من غيرِها ، و خاصّةً أنّها كانت في عهدٍ تاريخيٍّ غيرِ بعيدٍ إحدى اللّغاتِ القليلةِ لمن أرادَ أن يتعلّمَ العلومَ ، و وسيلةً للانفتاحِ على العالَم ، فقد أظهر تقرير التنمية الإنسانية العربية(2003) أن اللغة العربية مهيأة لتلعب دوراً فاعلاً في بناء مجتمع معرفة عربي يستقبل المعرفة وينتجها بالعربية؛ وذلك أن تزايد أهمية البعد اللغوي في تقانة المعلومات والاتصالات ، وخاصة مع انتشار الإنترنت، يمكن أن يفضي إلى أن تصبح اللغة العربية من أهم مقومات التكتل المعلوماتي ومقابلة التحدي الذي تواجهه البلدان العربية في المنطقة[66]

و لتحقيق ذلك وجب تطوير مناهج و أساليب جديدة ، بحيث تستوعب اللغة العربية مختلف العلوم الحديثة ، كما يجب وضع مخطط علمي لمنهج متكامل لتعليم اللغة العربية في المدارس العربية ، ووضع برامج حاسوبية لتطوير أساليب تعلم اللغة العربية للناطقين بالعربية و للناطقين بغيرها .

وأخيرا ربط منظومةِ المعرفةِ العربيّة وإحيائها وتنميتِها، بالتّنمية الحديثة، " تؤدّي مهمّةً فاعلةً في النّموّ الحقيقيّ للاقتصاد العربيّ، وذلك بتحويله من اقتصاد الرّيع المتواكلِ علميا إلى اقتصادٍ أصيلٍ ينمو نموّا مستداما "[67] و بذلك تحقق المتفرقين اللسان العربي و الإنتاج المحلي .

د ــ الهوية الإبداعية للغة العربية :

الإبداع من " بدع الشيء أي أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولاً ويقال أبدعت الشيء إبداعاً ، بمعنى اخترعته وأوجدته لا على مثال[68] ، ويرى عبد الحليم محمود السيد أن الإبـــداع "نشاط الإنسان الذي يتصف بالابتكار و التجديد، و هو الذي يقف على العكس من الإتباع و التقليد"[69] واللغة العربية لغة إبداع منذ أقدم العصور، و شعر ما قبل الإسلام و ما بعده خير دليل على ذلك.

و بما أن الطفولة هي أساس التغيير والأرض الخصبة لنمو لسان عربي سليم فقد آثرت التركيز عليها ، و على أدب الطفل بشكل خاص ، و إذا كان الأدب هو " مؤسسة اجتماعية أداته اللغة "[70] ، فإنّ أدب الأطفال هو " النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم و أعمارهم ، و قدرتهم على الفهم و التذوق ، وفق طبيعة العصر و بما يتلاءم و المجتمع الذي يعيشون فيه "[71]

لذلك يمكن الاستفادة من أدب الأطفال في خلق هوية جديد للغة العربية لدى أطفالنا من خلال الاهتمام بكتاب ومؤلفي أدب الأطفال العربي للارتقاء بهذا الأدب وجعله منافساً للآداب العالمية و تشجيع الدراسات التي تُعنى بأدب الطفل العربي ولغته ودعمها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هـــ ـــ الهوية الثقافية للغة العربية :

الثقافة وآليتها الأولى اللغة ومن ضمنها الإبداع و تحسين وضع الهوية الثقافية ومن ثم الهوية اللغوية لأن تمييع اللغة العربية جزء لا يتجزأ من عملية هدم الهوية الثقافية ، واللغة الجامعة ليست مجرد لغة. إنها ثقافة وفكر و وجدان. بل يرى كثير من علماء اللسانيات أن اللغة تمثل تصوراً للوجود وللعالم.

ولعل المنطلق أن اللغة تمثيل للثقافة، والعقيدة الجماعية لمستعملي اللغة، وبها تتجلي عقليتهم، وأن الفرد الذي يكتسب إنما يتعلم ثقافة بعينها، ولا وسيلة للتعبير عنها أفضل من لغتها التي نشأ فيها، ومعها، وأصبحت جزءاً من كيانه، وشخصيته، وأن ما يصيب اللغة من نكسة تعد نكسة لكيان الإنسان، وكرامته،وفي تطور اللغة اعتبار لكيانه، ومعاضدة لكرامته[72].

لذلك و من أجل الحفاظ على كرامة العربي وجب الحفاظ على اللغة العربية و جعلها لسان حال الثقافة العربية ، التي هي صورة للعالم العربي أمام العالم .

و ـــ الهوية التداولية/الوظيفية للغة العربية :

التداولية هي " دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله[73] ، أو دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية [74].

والتداولية اللغوية تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية. لذلك لابد من تأسيس مراكز للتدريب على المحادثة بالفصحى في كل بلد عربي، وفي المهجر على وجه الخصوص، على أن تعتمد أسلوب الإتقان الوظيفي للغة، أي إتقان استعمال اللغة بدلاً من التركيز على دراسة القواعد المجردة.

أما مسؤولية المجامع اللغة العربية فهامة فهي مطالبة بإجراء بحوث تتناول الرصيد اللغوي الوظيفي الموجه لكل مرحلة من مراحل تعلّم اللغة العربية ، فالرصيد اللغوي الوظيفي هو الأساس الذي ينبني عليه إعداد المناهج المدرسية وتصنيف معاجم الأطفال و بناء البرامج الحاسوبية للغة العربية و تسهيل تعليمها للناطقين بغيرها من المسلمين و غيرهم .

الخاتمة:

اللغة الأم هي اللغة التي تجمع بين أهلها و تصهرهم في سبك واحد ، فتصبح وسيلة من وسائل حفظ الانتماء و التميز عن أمم العالم .

واللغة العربية هي إحدى اللغات الحية التي حافظت على حيويتها و وجودها عصورا طويلة ، فشهدت فترات قوة وازدهار ، وفترات ضعف استكانة ، وهي في العصر الحديث تعيش إحدى فترات الضعف ، والسبب ليس اللغة نفسها فقد أثبتت أنها لغة قابلة للتكيف مع الظروف التاريخية الطارئة ، ولكن السبب الحقيقي يعود إلى الذات العربية التي فقدت إحساسها بالانتماء إلى هذه اللغة العظيمة ، وهذا ما ولّد إحساسا بالتيه و الغربة لدى الإنسان العربي .

وفقد الهوية اللغوية هو أحد الوسائل التي استعملها الغرب لإفراغ الأمة من محتواها الثقافي و المعرفي، مستعملا في ذلك مصطلح العولمة الثقافية التي تغلغل بوساطتها إلى أعماق الأمة فهدم مقوماتها ، واستحل حرماتها ، و قضى ـــ أو يكاد ـــ على لغة القرآن الكريم .

ولأهمية اللغة العربية الجامعة في الحفاظ على وجود الأمة ، وجب على المفكرين و الساسة على حد السواء وضع أسس جديدة لدعم هوية اللغة العربية في عالم يسيطر فيه اقتصاد الآخر و فكره و لغته .

ولعل السبيل إلى تحقيق ذلك هو بعث الهوية التواصلية للغة العربية من خلال الإفادة من التطور الحال في تكنولوجيا المعلومات لجعل العربية لغة عالمية تنافس الإنجليزية و الفرنسية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاستفادة من التطور العلمي في إغناء العربية بالجديد من المعارف و العلوم من خلال الترجمة والتواصل الثقافي شرط استعمال المصطلح العربي .

واللغة العربية هي لغة إبداع منذ أقدم العصور ، وهي طيعة قابلة للتطور لتساير أشكال الإبداع المعاصرة . أما الهوية الثقافية فتجمع كل ذلك و أكثر ، و هي وسيلة لإظهار النتاج الفكري للعربي تراثا و معاصرة .

و لنشر العربية بين أبنائها و الناطقين بغيرها وجب التركيز على وضع الوسائل التي تساهم في تحقيق هذا الهدف ، فعلى علماء العربية وضع سياسة تداولية / وظيفية لتعليم اللغة من خلال البرامج الحاسوبية و النحو الوظيفي .

الهوامش :

---

[1]على حرب : التأويل و الحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية) ، دار التنوير ، بيروت 2007، ص 125

[2]لمرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3]المرجع نفسه ، الصفحة 128

[4]محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة (دراسات و مناقشات) ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط1 ، 1991 ص 135

[5]مجدي يوسف : التداخل الحضاري و الاستقلال الفكري ، موقع kotobarabia . com

[6]يعقوبي محمود : معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1973، ص 174

[7] الشريف الجرجاني : التعريفات ، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م، ص314.

[8] صليبا جميل : المعجم الفلسفي، دارا لكتاب اللبناني، ج 2، بيروت، 1972، ص 529.

[9] ينظر : الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1981 ، ص 821

[10]حليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين بحث متغيرات الأحوال والعلاقات ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2000، ص 178

[11]السرقسطي: "كتاب الأفعال"، إعداد حسين محمد شرف، مراجعة محمد مهدي علام، جـ2 ، القاهرة، مجمع اللغة العربية ط3، 2002 ، ص 416 - 423

[12]ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة"، تحقيق مجموعة من المحققين، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، 2004 (ط.جديدة ومنقحة)، وانظر أيضًا: الزمخشري، "أساس البلاغة"، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003 (لغو).

[13]مجمع اللغة العربية (مصر): معجم ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، المجمع، 1990، جـ2 ، ص 1008.

[14]لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج "13"، ص.ص. 385-386.

[15] سورة : النحل ، الآية 103

[16]فرديناند سوسير : فصول في علم اللغة العام ـــ تر. أحمد كراهين الإسكندرية ـــ ص 45.

[17]إيغور كون : البحث عد الذات (دراسة في الشخصية و وعي الذات) ، تر: حسان نصر ، دار معد ، دمشق – سوريا، 1992 ، ص 135

[18] ساطع الحصري : ما هي القومية ؟ دار العلم للملايين ، بيروت ـــ لبنان ، (د ت) ، ص 56

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[19] فيصل الحفيان: العلاقة بين اللغة والهوية، ضمن اللغة والهوية وحوار الحضارات، جامعة القاهرة، برنامج حوار الحضارات، 2006، ص75

[20]محمد عماره: الإسلام والوحدة القومية (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م، ص161.

[21]ندوة الهوية العربية عبر حقب التاريخ، للمدة 25-1997/6/26م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة، ص7

[22]ساطع الحصري : ما هي القومية ؟ ، ص 63

[23]ليكس ميكشيللي : الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق 1993 ، ص 25

[24]مسلم ،محمد: الهوية والعولمة. دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 13.

[25]فيصل الحفيان: اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات- مجلة التسامح- العدد الخامس بمسقط- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،ص93

[26]مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم ج 2 منشأة المعارف (د ت) ، ص33.

[27]ابن منظور : لسان العرب: ج8 ، تح : عبد السلام هارون ، ص 241

[28]حسن نور الدين : الموسوعات والمعاجم بين الماضي والحاضر ، ص 20

29Emmanuel Lévinas , Totalité et Infini. Essai sur l'extériorité , Kluwer Academic , 1996 p 190

[30]برهان غليون . سمير أمين . ثقافة العولمة وعولمة الثقافة . ط2، دمشق : دار الفكر ، 2002، ص36 ــ 37.

31 انظر: Crystal, David, English aas a Global Language, Cambridge Univeresity Press, Cambridge UK 1997,P.11

[32]المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، دار الحديث للطبع و النشر ، بيروت . ص 83

[33]عبد الرحمن حسن العارف : حركة الترجمة اللغوية في المشرق العربي ، مصر أنموذجا، ضمن كتاب، عبده بدوي شاعرا وناقدا، بأقلام مجموعة من الأساتذة، جامعة الكويت، فبراير 2007، ص308.

[34]عبده عبود: هجرة النصوص (دراسات في الترجمة الأدبية و التبادل الثقافي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سوريا، 1995 ، ص 15 .

[35]م ،ن ، ص 16

[36] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2000، ط2.ص 29.

[37]أنظر مقالنا : التواصل الثقافي من خلال الترجمة و الدراسات المقارنة عند محمد بن أبي شنب المنشور ضمن أعمال الملتقى الدولي محمد بن أبي شنب المقام بجامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر العاصمة .

[38]عبد العزيز بن عثمان التويجري، "الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي،" في العولمة والهوية، (الرباط: مطبوعات أكاديمية)، 167

[39] جون توملينسون: العولمة و الثقافة، تر: إيهاب عبد الرحيم محمد ، سلسة عالم المعرفة ، الكويت ، أوت 2008،ص9

[40]انظر:العولمة والهوية الثقافية لمحمد عابد الجابري – مقال منشور بمجلة المستقبل العربي، العدد 228 ص17..

[41]برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر العربي- دمشق ودار الفكر المعاصر- بيروت، ط1، 1999، ص 208.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[42]محمد بن سعد التميمي العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 29.

[43] محمود سمير المنير: العولمة وعالم بلا هوية ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 129.

[44]كمال الدين عبد الغني المرسي: الخروج من فخ العولمة، المكتب الجامعي للحديث، الإسكندرية، ط1، 2002 ،ص 18

[45] عبد السلام المسدي : العولمة و العولمة المضادة ، مجلة سطور ، القاهرة : دار سطور ، فبراير 1999 . ص 403

[46]أحمد زايد: عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية، عالم الفكر، العدد 1، المجلد 32، الكويت تموز - أيلول 2005 ، ص95

[47]مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم ، ص 33

[48]بشير خلف : سؤال الهوية وصدمة العولمة . موقع مجلة ديوان العرب ، 25 أكتوبر 2006.

[49]عبد الهادي الجوهري: العولمة والانتماء الوطني (حالة مصر) في العولمة وأثرها في المجتمع والدولة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2002 ، ص 126

[50]الجيلالي أحلام : أثر العولمة في اللسان الرسمي (العربية نموذجا) مجلة اللغة العربية. المجلس الأعلى للغة العربية، ع5 ، الجزائر 2001، ص 128.

[51]إسماعيل صبري عبد الله : الكوكبة أساس الظاهرة الاقتصادي الاجتماعي ، في العولمة والهوية الثقافية ، سلسلة أبحاث المؤتمرات 12-1998/4/16، المجلد (7)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.ص 337

[52]قدري حفني : واقع الطفل العربي وأولويات العمل القادمة، المجلس العربي للطفولة القاهرة ، ديسمبر 2003،ص 132

[53] صالح أبو الإصبع : قضايا إعلامية ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان ــ الأردن ، ط2 2005 ص 283ــ284

و ينظر للتوسع في مفهوم الاستلاب : محمد شاويش : حول الحب والاستلاب: بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط1، 1995م

[54]حميدة سميسم : الحرب النفسية (مدخل) ، دار الكتب للطباعة ، بغداد ، 2000 ، ص 226 .

[55]صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب وتقديم: صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 210.

[56] الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، حسن حنفي، بحث ضمن كتاب العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى 1999م، ص33.

[57]عبد السلام المسدي : العولمة والعولمة المضادة ، مجلة سطور ، القاهرة : دار سطور ، فبراير 1999 ، ص 390

[58]انظر، على سبيل التمثيل ، الكتب التي حلّلت علاقة اللغة العربية بالقضايا والمشكلات التي طرحتها العولمة:

- سمر روحي الفيصل: اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث (1993)
- بن عيسى باطاهر: الدور الحضاري للعربية في عصر العولمة (2001)
- رضوان الدبسي: أثر وسائل التقنية في تطوير تعليم العربية (2002)

[59]الحصري ،ساطع : ما هي القومية. دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ، ص 56

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[60]دهمان، أحمد: اللغة العربية الصلة الحية بين حاضر الامة وتراثها الزاخر ،مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد 102 السنة السادسة والعشرون – نيسان 2006 – ربيع الثاني 1427، ص89

[61]الدليمي، جلال جميل سلمان : ثقافة العولمة،(مصدر سبق ذكره) صحيفة الخليج ص12

[62] عثمان ابن جني: "الخصائص"، تحقيق محمد علي النجار، ط3، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، جـ1، ص33.

[63] Martinet (André), Eléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris, 1970, p.9.

[64]عبد الرزاق تورابي : اللغة وطن المعرفة، منشورات معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب، جامعة محمّد الخامس–السويسي، الرّباط مارس 2005م ص:69،

[65]شاهين، عبد الصبور: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، 1986، ص 362-363.

[66] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة 2003.

[67]انظر: محمّد نرايابي : أثر اللّغة العلميّة والتّكنولوجيّة في النّموّ الاقتصادي العربيّ، مقال منشور ضمن: أسئلة اللّغة، منشورات معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب، يوليو 2002م ، ص9

[68]المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ص 214

[69]عبد الحليم محمود السيد : الإبداع ، سلسلة كتابك ، دار المعارف القاهرة (د ت) ، ص 7

[70]رونيه ويلك و أوستن وارين : نظرية الأدب ، تر: محي الدين صبحي ، ط3 ، (د ت) ، ص 97

[71]محمد حسن بريغش : أدب الأطفال ، أهدافه و سماته ، دار الرسالة ، ط2 ، 1996 ، ص 46

[72]صليبا جميل : المعجم الفلسفي، دارا لكتاب اللبناني، ج 2، بيروت، 1972، ص 529-532.

[73]الشهري، عبد الهادي: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004)22.

[74]أرمينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش(الرباط، مركز الإنماء القومي، 1986)7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com